فقر وفاقة وعوز وحاجة وشقاء وتعاسة وبرد وحر وعمل وجهاد وحياة غير هذه الحياة التى يعرفها هو .

وتمكن فى أحد الأيام من الخروج خلسة من القصر بدون علم مراقبيه ولم يسر الا قليلاً واذا به أمام اربعة مناظر تنفطر لهولها الأكباد . رأى شيخاً قد أحنى الدهر ظهره وجعدت آلام الحياة تقاطيعه . ورأى كهلاً مطروحاً على قارعة الطريق يئن من مرض ألم به يستغيث ولا من مغيث . ورأى عجوزاً أقعدها الدهر فذهبت تطلب سد رمقها من سبيل الاستجداء مادة اكفها تتضرع الى المارة ولا من يمدها بمساعدة . و رأى وجوداً بشرياً قد تفسخ وفوقه الطيور تنهش لحمه ولا من فاعل خير يواريه التراب .

أثرت هذه المناظر بغوتاما أيما تأثير وعلمته أن الحياة ليست الا شقاء ودور محزن تمثله ظروفها وان هذه النعم كلها زائلة لا دوام لها . وبلغ التأثر بغوتاما الى ترك كل وسائل اللهو والترف جانباً والى التفكير بمصير هذا العالم طالما هنالك حياة وموت .

واول عقيدة ولدت فى مخيلة غوتاما كانت عقيدة (التناسخ) تلك العقيدة التي يسميها البراهمة (قارما) . اذ ان معتقدي هذه العقيدة يقولون بمجيء الانسان الى العالم مرات متعددة . وزيادة الشقاء أو السعادة لهم نسبة الى اعمالهم فى كل مرة وهكذا يرتحلون و يعودون الى ان يصلوا الى درجة البراهمة وهي غاية الدرجات من الكمال واذا ما ماتوا فلا عودة بعدها .

بقي غوتاما فى قصره يحقق وينقب عن هذه العقائد الى ان اكمل العقد الثالث من عمره . وفى هذه السنة قرر ترك الدنيا وزخرفها والتجوال فى الفيافى والبراري فى سبيل التحري عن الحقيقة .

(يتبع)

خلف شوقي امين الداودي

قصة الحديث

النائب

« لا بد للعامة من دين »

من القصص الفريدة التي عربها المنفلوطي : « في سبيل التاج » وهي للاديب الفرنسي الكبير (فرانسوا كوپه) المسمى « شاعر المساكين » .

ذلك لانه كان شعبياً فى اشعاره وقصصه . فلم يكن يضمن قصائده الا ما تجيش به صدور ابناء الشعب . ولم يكن أبطال قصصه الا اناساً من الفقراء . ذوي اخلاق حسنة ، ونجدة ، ووجدان طاهر نقي .

وهذه القصة الصغيرة التي تقرأها اشخاصها اثنان : نائب في البرلمان الفرنسي، وخادم فقيرة تخدمه في بيته . ويظهر شاعرنا، لك، النائب ، رجلاً ذا طمع قوي يدفعه الى سرقة اموال الشعب ، ثم هو يظهر لك الخادم الفقيرة ذات وجدان حي نزيه ودين . وهي ساذجة تضطرها الحاجة الى السرقة من ماله ، فاذا ما اعترمت الزواج ، واعترفت للكاهن بذنبها ونصحها ان ترد اليه ماله ، وعذبها وجدانها ، اعادت اليه المال معترفة بذنبها له ، فلا تراه — انت ايها القارئ — الا حجراً لا تدفعه هذه الحادثة المؤلمة ، والدرس البليغ الى رد اموال الشعب التي سرق ، وذلكم هو « موت الضمير » .

واليك القصة ملخصة :

انقضى فصل مجلس النواب الفرنسي ، واخذوا يعودون الى بلادهم ليقضوا بين اهليهم وناخبيهم مدة العطلة . ركب النائب مسيو (جرانكاديه) القطار الذاهب الى بلدته . وانزوى فى ركن من اركان الدرجة الاولى وبسط جريدته فأنشأ يقرأ . ولكنه كان يفكر فى غير ما يقرأ .

كان يفكر فى انه ربما يجيء اليوم الذى ستذكر فيه الصحف اسمه بين اللصوص . وترآى له شبح الرجل الذى دفع اليه المال ليحمل المجلس على اقرار أمر يعود عليه بالنفع العظيم ؛ ترآى له شبح الرجل صاحب البنك الذى تعاهد واياه على المضاربة فى البورصة باسم الدين الأهلي ، الذى أداه الشعب درهماً درهما .

وكم ربح النائب وذلك الرجل من ذلك ؟ أتدري ؟ ربحا مليونين من الفرنكات على حساب الشعب ؟ لا يقل أحدكم لا . فكلكم فى هذا الأمر والمسيو (جرانكاديه) سواء .

وتزاحمت الأخيلة والافكار فى مخيلة النائب . وكلها أسود عابس الوجه يصرخ به: ياسارق أموال الشعب ! يا أيها المستهين بالشعب ! يا أيها الهازئ بالشعب !

ومرت برهة ، فاذا به لايجد له عذرا ، واذا به يهز بكتفيه استخفافاً .

واذا به يقول مخاطباً نفسه :

« ومن ذا الذى يعلم ما اقترفت » ؟

* * *

ونام فرأى فيما يرى النائم أحلاماً مرعبة أزعجته . ثم استيقظ . وكان الصبح قد أسفر . فبلغ بلدته . وكانت مركبته فى انتظاره فأقلته الى بيته . واذا بالأهلين يستقبلونه ويحيونه : « ســـلام عليك يا حضرة النائب ! » ولم يقل أحد منهم « ياحضرة اللص » . واذن فهو لايزال النائب المحترم ..

* * *

وأذ دخل البيت، وجاءته الخادم بالفطور ، ركعت أمامه ، وهى تقول :

— اريد ان اعترف لك بأمر يصعب علي البوح به يا سيدى .

— وما هو ذاك ، ابنتي ؟

— انني معتزمة الزواج .

— أتتزوجين (بيير) العامل فى الحانوت القريب منا ؟ بلى انني لا اعرف ذلك ، فقد كنت اعلمتني به منذ عامين ...

— بلى ياسيدي . وقبل ان ألج الباب الى هذه الحياة الزوجية الجديدة التي انتظر فيها السعادة ، بحت للكاهن بذنب اقترفته معك ، فلعلك غافر لي .

— أكذلك ؟

فقالت الفتاة وهى تبكي :

— عفوك يا سيدي . انني كنت اسرق من مالك منذ سنتين . وقد أمرني الكاهن ان اعيد اليك مالك المسروق . وها هو ذا . واقسم لك بأنه كامل غير منقوص ...

واخرجت من جيبها قبضة من المال فوضعته على المائدة امامه .

— كيف ؟! أكنت تسرقين مني مالي ؟

— أتضرع اليك !.. ارجو ان لا تزيدني فوق تقريع وجداني وعذابه تقريعاً وعذابا . وانت ترى انني لست بفتاة شريرة ، فها أناذي اعيد اليك المال .

فقال سيدها وقد عيل صبره :

— حسنا ، فدعيني الآن .

***

يقول شاعر « المساكين » :

وبقي النائب مضطرباً مفكرا . ولكن لاتحسبوا انه كان يفكر هو الآخر فى اعادة مال الشعب المسروق . كلا . بل فى هذه الفتاة وتقسيتها كما يفكر رجل سياسي .

ثم انتبه فجمع النقود من على المنضدة واودعها كيسه وهو يقول :

— حقاً ، انه لابد للعامة من دين ! ؟

***